سيميائية العتبات النصية في رواية "وعد الياسمين"لرابح فيلالي

Semiotics of textual thresholds in
the novel promised the jasmine Rabah Filali

بشرى بلقاسم / طالبة دكتوراه
Bouchra.belkacem@univsba.dz
أ.د قادة عقاق
قسم اللغة والأدب العربي-كلية الآداب واللغات والفنون -سيدي بلعباس(الجزائر)
مخبر النقد والدراسات الأدبية واللسانية

تاريخ الإيداع: 2019/07/09 تاريخ القبول: 2019/10/13

ملخص:

عندما تعصف رياح الظلم والاستبداد بالمبدِع تتزعزع قلاع الهويَّة ،عندما تهتزّ قيم الانتماء والوطنية تنفجر المعاني غضبًا ورفضًا ، عندما تَنكشف جراحات الشعب تَثْرى من ويلات الهيمنة، هنا تتلاقح أوجاع المبدع العربيّ الداخلية مع التأزمات الخارجية فتحبل بنات أفكاره لتلد نصًّا يحمل بين ثناياه آلامه وآماله.

ومن بين من اضطرمت أفئدتهم بلهيب مآسي الوطن و صراعاته، الروائيّ الجزائريّ "**رابح فيلالي**" الذي ألَّف عددا معتبرًا من الروايات من بينها روايته"**وعد الياسمين**" التي تعدُّ صرخةً فاضحة للأوضاع المرفوضة وفي الآن ذاته همسةً صادحةً مادحةً لتكاتف الشعب في مواجهة الظروف القاهرة، فالروائيّ يحتفي بالوطن كبؤرة جمالية يثير فيها كوامن الوجدان و يحرّك سواكن الأشجان.

تروم دراستنا النقدية إماطة اللّثام عن تجليَّات الوطن وتمثّلاته التي أسقطها الروائيّ في ثنايا الرواية ، ومحاولة استقطاب أبعادها الجمالية عبر أسداف الدلالات الرمزية للعتبات والنصوص الموازية ،واستثارة إيحاءاتها ومعطياتها المشحونة بسوداوية الواقع المتصدّع.

الكلمات المفتاحية: الوطن،العتبات، العنوان، وعد الياسمين، رابح فيلالي

ABSTRACT **:**

When the winds of injustice and tyranny are swept away by the creator, the castles of identity are shaken. When the values of belonging and nationalism

are shaken, the meanings explode in anger and rejection. When the operations of the people are revealed, they see the scourge of hegemony.

The Algerian novelist Rabah Filali, who wrote a number of novels, including his novel "The Promise of Jasmine", which is a blatant cry of the rejected conditions. At the same time, Sadegha praises the solidarity of the people in the face of dire circumstances. It celebrates the homeland as an aesthetic center in which the conscience of the conscience is stirred and the Soukkn al-Ashgan moves.

Our monetary study aims at revealing the manifestations of the homeland and its implications, which the novelist dropped in the folds of the novel, and attempts to attract its aesthetic dimensions through the symbolic indications of thresholds and parallel texts, and to evoke their inspirations and facts, which are charged with the rudeness of reality.

Keywords: The homeland, Thresholds,title , the promise of jasmine , Rabah Filali.

1.مقدمة:

لقد ساهمت الأزمات الوطنية والصراعات الداخلية التي تعاني منها البلدان العربية بشكل كبير في إثراء أقلام الكتَّاب العرب ،باعتبارها ظرفًا تاريخيًّا سجَّل بقوّة وأتاح فرصة خوض غمار مرحلة روائية جديدة، سمحت للروائي بأن يعكس هذه الفترة في قالب فنيّ متميّز ورصد ذبذبات الواقع المأزوم ، بهدف تجسيد الثقل الذي قد أرهق وعيه وزاد من حدَّة نفوره من الأوضاع السائدة في البلاد، فلجأ إلى التعبير عن قيمة الوطن وضرورة اتّحاد الشَّعب في مواجهة المحن والمصاعب، وتحدّي كلّ الأزمات.

تعتبر التجربة الروائية العربية بما تحمله منجزات بعض الروائيين العرب و الجزائريين خاصّة، وما تمثّله مواقفهم دليلا على عمق التجربة وإثراءً لها ،ولم يتحقّق ذلك من دون أسئلة مصيرية تهمّ الإنسان العربيّ وعلاقته بالعالم ،وبذاته وتاريخه.

فالمتتبّع لتشكيلات الوطن وتجلياته في الرواية الجزائرية يلاحظ أنَّه لم ينحصر مفهومه في البعد السياسي أو الجغرافي بل تعدَّاه إلى أبعاد ودلالات مختلفة باختلاف شخصياته وظروفه وأزماته التي مرَّ بها.

لعلَّ أبرز هذه الروايات التي اتَّسمت بالغوص في أعماق الواقع الوطنيّ والقومي والإنساني هي رواية **"وعد الياسمين"** للمؤلِّف الجزائري **"رابح فيلالي"** التي حاول فيها خلق منظومة قيمية تتلخَّص في كلمة واحدة هي "الوطن"وتتجسَّد هذه الكلمة في كلِّ شيءٍ في حياة العربي المقهور؛ فأصبح الوطن هو الأمّ ،هو الحبيبة ،هو المدينة ،هو الأمان، فهو يعكس آلام الذات ،آمالها وأمانيها، وتتسرَّب عبر ثقوبه قسوة الحاضر وأحلام المستقبل .

2.تمظهر الوطن على مستوى العتبات:

لكي نسبر أغوار النصّ وكشف تجليَّات الوطن في رواية "وعد الياسمين"، لابدَّ أن نضع أقدامنا الثابتة على مدخل النّصوص وعتباتها وفق الطّروحات التي قدمها النّاقد الفرنسي جيرار جينيت للعتبات النصّية (Seuils)التي يندرج تحتها الغلاف الخارجي للرواية والعنوان والإهداء ،حيث يشكّل كلّ منها نصًّا مجاورا وموازيًا للنصّ الروائيّ.

1.2.الغلاف الخارجيّ:

لقد اهتمّت الدراسات الحديثة للرواية بالغلاف الخارجي أيَّما اهتمام، فاعتبرته عنصرًا هامًّا من عناصر الرواية ،مثله مثل النصّ الروائي، لذلك أولته عناية خاصّة حتى يكون بمثابة المرآة العاكسة للمتن، فصورة الغلاف "إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل الإشهار وجذب القرَّاء من طريق الألوان والتعابير،تعطينا_ولو نظرة موجزة_حول النصّ"[1]، إنَّ غلاف الرواية يضمّ عناصر أيقونية متعدّدة مثل اسم المؤلّف وجنس الرواية واسم الهيئة الناشرة.

الواجهة **الغلاف الخلفي**

ولعلَّ الشيء الملفت للانتباه في الغلاف الخارجي للرواية هو صورة الروائي "رابح فيلالي" يتصدّر الرواية جالسًا ومتأنِّقا ببذلة رمادية اللّون وربطة عنق يميل لونها إلى الأزرق مشوبًا بالسّواد،

ونظرة جادَّة وابتسامة ديبلوماسية ، وتعلو الصورة اسم الرواية و كأنَّها تترأس الصفحة ، تأكيدًا على الكتابة المدوّنة داخله، وبجانبها كُتِب اسم الروائي رابح فيلالي باللّون الأبيض.

والجليُّ في الغلاف هو تلك الدكنة السوداء التي عتّمت المكان وميّزت الغلاف الأمامي في الرواية، ممَّا جعله يوحي بعدّة أمور منها: الحزن والألم والكآبة التي يغرق فيها الوطن، وهذا اللّون لم يأتِ اعتباطًا ،بل هو يعبّر عن مواقف وحالات نفسية كالخوف والغموض، وقد عزَّز هذا الرؤية الضبابية التي تنطبق على أحداث الرواية.

أمَّا ظهر الكتاب فقد ركَّز الروائي فيه على مقطع من الرواية يقول فيه خاصّة:"أرجوكم احملوه برفق،لقد حملته في بطني تسعة شهور برفق الأرض والسماء، أرضعته حولين كاملين، حملته على ظهري عمرا،سهرت على حدود غفوته وسّدوه رحمة التراب، وحدها الأرض ستكون حنونا عليه مثل حضني ،تلقي في وجهها حطام أحلام حلمتها في يوم مضى، وهي تنذر وقتها وصحَّتها لماكينة تواطأت معها على تطريز أحلامها جهازا لعرسه، حلمت على إيقاع درزاتها بأولاده الذين سيملؤون حياتها فرحا،حتى ينسوها كلَّ ما شاكسها به الدهر قبلها". وقد ركّز هذا المقطع على لغة الأمّ التي هي مصدر الحياة و منبعها، لما تحتويه هذه اللغة الجميلة من تشكيل للذَّات الإنسانية ،فهي منطلق الأفراح ومخزن الآلام ،وهذا ما يتوافق مع النص الروائي.

فغلاف الرواية له علاقة وطيدة بالنصّ ،فقد ألمَّ بالمتن وجاء اختصارا له ،سواءً من حيث اللّون أو الصورة، ومنه نجزم بأنَّ مصمّم الغلاف استطاع أن يربط ذهن المتلقّي لمحتوى الرواية من خلال الغلاف، ومن جهة أخرى نجد أنَّ اللَّوحة المرسومة تجسيد مطابق للعنوان ،فهي ترجمة حرفية له.

ويأتي اهتمام البحث بهذه النّصوص الموازيّة: العنوان والإهداء على وجه التحديد كروافد منهجيَّة ،نحاول من خلالها مقاربة النصّ والكشف عمَّا يرمز إلى الوطن من خلال دلالات خفيَّة.

2.2. العنوان:

من المهمّ أن نقف عند العنوان بوصفه مفتاح الرواية الأساسي، الذي نلج بواسطته عالمها المتخيَّل إذ يعتبر سمة "تضيء غوامضه وتفكُّ رموزه وتعيد توزيع عناصره"[2]،فهو يجسّد"سلطة النّص وواجهته الإعلامية"[3]، وواحد من النّصوص الموازيّة، وأولى العتبات التي نطؤها قبل الولوج إلى فضاء النصّ الداخليّ، يرِد في شكل نص صغير"يختزل نصًّا كبيرا عبر التكثيف والتَّرميز والتَّلخيص"[4]، وليس غريبا أن نبدأ هذه المقاربة بالعنوان والارتكاز عليه، فهو يعدّ العنصر الأوَّل الذي يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفّز للقراءة يشفّ عن طاقة إيحائية وبنية دلالية.

ويتَّضح من خلال القراءة الأولى لرواية"وعد الياسمين" أنَّه عنوان يتمتَّع بحضور دائم في أغوار النصّ من حيث قدرته على إثارة التَّساؤلات سعيًا لتحصيل دلالته"باعتباره مفتاحًا أساسيًا يتسلَّح به المحلِّل للولوج إلى أغوار النصّ العميقة ، قصد استنطاقها وتأويلها"[5]،وهكذا يغدو العنوان سؤالاً إشكاليًّا ينتظر حلاً، والنصّ الروائي بمثابة إجابة عليه.

والمؤكّد أنَّ العنوان يبقى يستفز القارئ الذي يتحوّل إلى مبدع ومنتج ثان للنص، وإبهذا ينفتح المنتج على أكثر من قراءة، فالمتلقي مطالب بملء فراغات وتوقّع ما يأتي في النصّ، الأمر الذي ساهم في تشكيل أفق رئيا وانتظار للقارئ والقراءة.

إذا ألقينا نظرة على البناء النحويّ لعنوان الرواية **(وعد الياسمين)** فإنَّه يختزل عنوان الرواية إلى مفردتين هما **(وعد)** التي جاءت خبرًا لمبتدأ محذوف، متبوعة بكلمة **(الياسمين)** وجاءت مضافا إليه.

أي أنَّ العنوان ورد تركيبا إضافيا ،يتلقى خلاله القارئ أوَّل دفعة شعورية، فقد جاءت كلمة **(وعد)** اللفظة النكرة التي لا تشير إلى شيء محدّد ،ثمَّ عرّفت بالإضافة ووردت كلمة أخرى وهي **(الياسمين)** التي جيء بها لتنوب عن (ال)التعريف التي حذفت من الاسم الذي أضيفت إليه لتفيد الاختصاص والتحديد الدقيق ليكمل البناء وتتمَّ الدلالة التي يرنو إليها الروائي.

ولقد ورد العنوان في جملة اسمية ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى قول سيبويه :"اعلم أنَّ بعض الكلام أثقل من بعض ،فالأفعال أثقل من الأسماء لأنَّ الأسماء هي الأولى ،وهي أشدّ تمكّنا(..)ألا ترى أنَّ الفعل لابدَّ له من الاسم، وإلاَّ لم يكن كلامًا ،والاسم قد يستغني عن الفعل"[6]،فالروائي إذن ارتضى أن يكون العنوان على هذه الشاكلة، وبهذه الصورة التركيبية لقوة الدلالة الاسمية من ناحية، ولأنها أشد تمكنا من الدلالة الفعلية من ناحية أخرى.

تكونت بنية العنوان من جملة اسمية تدل على الثبات والسكون،فهو بهذا المعنى معادل لبقاء الشعب وصموده في وطنه ،وثبوته على العيش في أرضه مهما زادت المحن وتأزَّمت الأوضاع فيه.

وقد جاء العنوان "**وعد الياسمين**"مستقى من أسماء شخصيات رئيسية في الرواية ،وفي ذلك دلالة على أهميَّة الفرد في المجتمع،و في ذلك رسالة مشفّرة أراد الكاتب إيصالها للقارئ من خلال أنَّ الوطن لا يبنى إلاَّ إذا تكاتف الشعب وتلاحم لتوحيده وإعادة بنائه، فالتغيير لا يكون من العدم ،كما لا يمكن أن يكون فرديا، بل يكون بالترابط والاتحاد والتضحية في سبيل مستقبل أفضل للوطن.

لا تأتي العناوين بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب، بل يكون اختيارها بشكل متعمَّد ومقصود، ووفق عملية فنيَّة منظَّمة ،ودالة على مضمون العمل الروائي ،وما يحتويه

من أفكار ،وإن كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية، وفكرتها المحورية فإنَّه يفقد الكثير من قيمته الإيحائية والدلالية والفنية.

وكثيرا ما يعمد الروائيون إلى اختيار عناوين رمزية بعيدة عن التصريح والمكاشفة لرواياتهم، ولما يحويه الرمز من دلالات ومعاني أقوى بكثير من الألفاظ المباشرة، فالعناوين هي مفاتيح الدلالة.

وقد صاغ الروائي عنوان الرواية (وعد الياسمين)من جزأين:**وعد/الياسمين**.

جاءت لفظة **(وعد)**نكرة وذلك لأنَّ النكرة أصل والمعرفة فرع لقول سيبويه:"واعلم أنَّ النكرة أخفَّ عليهم من المعرفة وهي أشدّ تمكّنا، لأنَّ النكرة أوَّل ثمّ يدخل عليها ما تعرَّف به، فمن ثَمَّ أكثرُ الكلامِ ينصرف إلى النكرة"[7]، ولأنَّ العنوان هو سمة الرواية أو النصّ أو اسم لها، فلابدَّ أن يأتي نكرة ليضطرَّ القارئ على قراءة النص استجلاءً للغموض الذي يكتنف هذه النكرة.

ممَّا يجعلنا نطرح علامات استفهام عديدة حول **الوعد** الذي يقصده الروائي ، وقد جاء هذا اللفظ بصيغة المفرد ولم يأت بصيغة الجمع، فالوعد هنا يفيد الالتزام به، فهو وعد قاطع لا مفرَّ من الوفاء به، لذا لم يقل الروائي وعود ، فالوعود الكثيرة في الغالب لا نستطيع تحقيقها كلَّها.

إنَّ لفظة **"وعد"** مشحونة بدلالات عدَّة منها: الوفاء بالعهد، الحرية ،الأمانة ،كما أنَّها مستقاة من الشخصية التي ستصبح الرئيسة المستقبلية لتونس ، والدلالة من ذلك هو نظرة التفاؤل لمستقبل الوطن من خلال الوعود التي جاءت لتحقيق التغيير في البلاد لواقع أجمل ووطن أفضل.

(الياسمين):

إنَّ القارئ الذي لا يعرف"ثورة الياسمين" لا يمكنه الغوص في دلالة النص واستكناه مرامي الروائي، فمصطلح **الياسمين** يشير إلى حدث تاريخي ،وهو ثورة الشعب التونسي ضدَّ النظام الحاكم لتغييره وتنديدا بالظلم والاستبداد الذي لحقهم في فترة حكمه، وقد استجاب القدر لقرار الشعب، وفرَّ الحاكم المخلوع" فقد كان نظامه يقارن باحتلال استعماري،أي لا شرعيّ ومتوحّش،فقد أمضى عشرين عاما في إرساء الشبكات التنظيمية الضرورية لإخضاع البلد لإرادته وأجاز لنفسه كلّ شيء"[8]،فخروج الشعب كان تنديدا بتغيير النظام و إسقاطه ، وكانت

ثورتهم سلمية لا دماء فيها لذا سمّيت **بثورة الياسمين** " أمَّا إنجازهم الذي أعاد ترتيب الكلمات ودلالاتها فقد كان الياسمين عنوانه،الياسمين الأبيض النقي... سقطت الديكتاتورية أمام سلطة النقاء وشاعرية المطر، وسطوة الأبيض الذي ارتشف الدماء الزكية وصاغها عنوانًا غير مسبوق لثورات التاريخ:"ثورة الياسمين"[9]، فالياسمين بعطره كفيل بطرد روائح الفساد ، وسطوة بياضه مؤشّر على سلمية الثورة كما أنَّه يوحي بالرؤية التي لا تخلو من التفاؤل." هذه تونس وهذه ياسمينك التي سقيتها أحلامًا بحديثك عن الآخرين من أبناء وطنك المؤمنين بالحرية والغد الجميل والشمس القادمة مع الصباح"[10].

لا تأتي عناوين الأعمال الأدبية أو الروائية بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب،بل يكون اختيارها بشكل متعمَّد ومقصود، ووفق عملية فنيّة منظّمة، و دالة على مضمون الرواية و ما يحتويه من أفكار،أمَّا إذا كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية وفكرتها المحورية ،فإنَّه يفقد الكثير من قيمته الإيحائية والدلالية والفنية.

إنَّ عنوان"وعد الياسمين" يشير إلى ثورة الياسمين التي هي وليدة أحداث الربيع العربي، أي ثورات التحرير ضد النظام التي قامت بها الشعوب العربية للمطالبة بالتغيير، وهذا الوعد الذي نادت به الرواية" يقيم في داخل نفس كلّ إنسان عربي سواء وجد الطريق إلى التعبير عن ذلك أو خانته المفردات وأحيانًا أرغمته ظروف الحياة بكامل تناقضاتها على أن يصمت وإلى الأبد في سبيل أن يضمن أسباب استمراره على قيد الحياة"[11].

إذا كان العنوان هو أوَّل عتبة تضيء غوامض النصّ وتفكّ رموزه ،فإنَّ العنوان الفرعي يدخل ضمن هذا الطَّرح أيضا.

3.2.العناوين الفرعية:

أمَّا بالنسبة للعناوين الفرعية فانتقيت العناوين التي ترمز إلى الوطن فقط من بين(27)سبعة و عشرين عنوانا فرعيا ،وكلّ واحد منها يعالج جزءا من أجزاء الحبكة الدرامية ،ومن بين هذه العناوين:

هي وهي:

أكَّد الروائي في هذا العنوان على الضمير المفرد المؤنّث "هي"، واستعمل أداة الربط "الواو" ، وهذا يحيلنا إلى أهميَّة المرأة ودورها الفعَّال في بناء الأسرة والمجتمع وبالتَّالي الوطن، حيث أنَّ هذه المرأة أصبحت حاكمة فعلية للوطن وبها سيرقى و يزدهر، وفي متن هذا المقطع يبدأ السؤال عن البهية و البهاء وعن الوجع الذي يسكن عمق المرأة التي ترمز إلى التفاعل الوجداني لأيّ أمَّة تريد الحرية، وتصبو إلى واقع أفضل،كما أنَّ الروائيّ أدرج فيه كلمة" **انقلاب** " "قبل سنوات اتَّخذت قرارًا انقلابيًا"[12]،وهي كلمة تدلُّ على الربيع العربي فقد أفرزتها الثورات العربية.

حلم وتأشيرة:

جاء في العنوان حرف الواو رابطا بين الحلم والتأشيرة ،وفي ذلك دلالة على ارتباط مجيء "لؤي"إلى أرض الوطن بحلمه في تغيير الواقع الذي تمرّ به تونس، جاءت البنية التركيبية للعنوان على شكل جملة اسمية، صيغة ظلّت تلازم معظم العناوين الفرعية للرواية ،" لدلالتها على القوّة من جهة ولشدَّة تمكّنها وخفَّتها على الذوق السليم من الدلالة الفعلية من ناحية أخرى"[13].

لم يأت الروائي بهذا المعنى اعتباطًا وإنَّما لحاجة في نفسه وهي دعوته للتجديد في الحياة العربية التي اعتراها نوع من الجمود و الركود، ولكنَّه في ذلك يبدو متفائلا بعهد وزمنٍ واعدٍ تكون فيه النصرة للشعب والقرار بيده، وأنَّ الحلم الذي يتبعه الإصرار على تحقيقه ،سيتحقَّق ولو طال الزمان ،وأنَّ الشعب الذي يسعى جاهدا لتحقيق السلام والأمان فسيلقى مراده يومًا له.

لذا جاء عنوان هذا الجزء عاكسًا لما جاء فيه ،ففيه كان رجوع لؤي إلى أرض الوطن لتحقيق حلمه لطالما حلم به هو وأمثاله من أبناء الوطن تونس ،"ومن تحتها امتدَّت فضاءات تتزاحم معها الزرقة في البحر ورمال الصحراء البديعة في مشهد يستفزّ خيالي وراح ينسج لي الكثير من الأحلام في وطن يولد من جديد"[14]،ثم لقاء لؤي بوعد وحديثهما عن الحلم والإيمان بالغد الذي يسكنهما وإصرارهما على تجاوز الواقع بقوّة الإرادة والحرص على تنفيذ الحلم وتحقيقه،"تحلم بوعد من الحبّ تقطعه لامرأة وأنتَ رجل يقف على كثبان صحراء حرّة في الضفَّة الأخرى من العالم، وتستند إلى حبَّات رمل ناعمة من بحر أبيض متوسط"[15]، ومع تأزم الأوضاع في تونس خافت وعد على لؤي عند رجوعه إلى الوطن من الرقابة المفروضة عليهم والتي لا تتوانى من تصفية كلّ من يقف في طريقها.

الأرض أمّي:

تتكوّن البنية التركيبية لهذه الجملة من مبتدأ وخبر، وقد جاءت بداية الجملة معرَّفة ب(ال) وقد جاءت جملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار، وقد حضرت صورة الوطن في هذا العنوان ،وهو ما يثير القراءة ويحفّز الانتباه إلى العلامات البديلة عن الوطن، باعتبارها علامات تفتح فضاءات دلالية جديدة، فالأرض والتراب والزيتون والياسمين شكَّلت دلالات بارزة في الرواية، وهي التي تضمَّنت الوطن وعكست حضوره.

ولم تمتزج صورة الأرض بلغة الطبيعة والأمكنة فقط، بل امتدَّت إلى التمازج في صورة الأرض والمرأة منبثقة من إحساس عميق ومكثَّف يجسّد التعلّق بالأرض إلى أقصى ما يمكن.

وقد جاء هذا العنوان ساعيًا إلى انتماء البشر إلى الأرض الواحدة والحياة تحت السماء الواحدة فهم يعيشون جميعا لغاية واحدة وهي العمل لأجل حياة أفضل لهم ولأطفالهم ،كلّ هذه المشتركات الإنسانية المتجذّرة في مسار الوجود الإنساني تجعل منهم شخصا واحدا بحكم الانتماء إلى الأرض، أمَّا مضمونه فجاء ثائرا طالبًا التغيير، ورغبة في الانتصار على الضعف والهزيمة وتغيير حال الذلّ والهوان.

الأرض التي لم تعد أمّي:

في البنية التركيبية للجملة،(**الأرض**) مبتدأ ،(**التي لم تعد أمّي**) جملة صلة الموصول في محلّ خبر ، لذا فهي جملة تامة تتكوَّن من مسند ومسند إليه.

أمَّا في دلالة العنوان فهو يدلّ على الاغتراب الذي يحسّ به الشعب في وطن تزداد فيه الهوَّة عمقًا واتّساعاً بين الشعب والأرض، فكلّ يوم يمضي تتباعد المسافة بينهما ،وقد ارتبط حضور مدينة سيدي بوزيد في هذا المقطع بواقع حياة سعيد وغربته الذاتية وبين حلمه في تجاوز هذا الواقع ،ولذلك تتبَّع الروائي هذا الواقع عبر رصد وتسجيل واقع الحياة في المدينة.

وطني ووطنهم:

من المعلوم أنَّ الواو حرف عطف تفيد الرَّبط دون ترتيب ،أي أنَّنا نستطيع أن نقول (**وطنهم ووطني**) بدل (وطني ووطنهم)، فقد اختار الروائي هذا الحرف ليعطينا الحريَّة في قراءة العنوان من اليمين إلى اليسار والعكس.

ف(**وطني ووطنهم**) ف"وطني "أنَّ وطن سعيد وكلّ من أبناء تونس المحرومين، وهذا الوطن هو الذي يقبع في الفقر والظلم والجوع وسوء الحال، أمَّا "وطنهم" فيقصد به وطن الرئيس وكلّ أعوانه ورجاله، وهذا الوطن يحيل إلى العيش الرغيد ،السلطة والقوّة.

وأن يربط الروائي بين شيئين متناقضين ففي ذلك دلالة عميقة لتناقضات الواقع، فالوطن الأوَّل الذي يقصده الروائي هو الوطن الذي يعيش فيه سعيد وأمثاله من الحالمين بتغيير الأوضاع ،فهو وطن يئنُّ من وطأة الذلّ والاستعباد والقهر الذي يفرضه حاكم القصر وصاحب السلطة.

أمَّا الوطن الثاني فهو الوطن الذي يضمّ حاكم القصر ورجاله وأعوانه، فنجد سعيد يقول:"هذا وطنهم أمَّا نحن ، فلم يعد لنا وطنٌ بينهم"[16] ،فالوطن الذي احتكره واستغلَّه الرئيس أصبح وطنه هو، فهو الآمر والنَّاهي فيه،والكلمة الأولى والأخيرة له أيضا.

خصَّ هذا الجزء بالحديث عن سعيد ومشاكله وتخبّطه بين واقع مرٍّ وحلم لم يتحقَّق بوطن يوفّر له حياة كريمة ، وخبز يؤكل وبيت يركن إلى دفئها في اللَّيالي الباردة، لكن الوطن الذي يعيش فيه لم يعدّ نفس الوطن الذي مات لأجله العديد من النَّاس لتحريره من الاستعمار،"كان

هناك وطن يتشكَّل حولي بالتَّوازي غير ذاك الذي سكن وجداني وغنَّيته في صباحات المدرسة وقرأته في كتبي المدرسية"[17]،بل أصبح وطنًا محتكرًا من قبل سكَّان القصر وحاكمهم، وطنٌ يعمل على تلبية مطامعهم وأهدافهم على حساب سكان المدينة القابعين في الفقر والجوع والقهر.

وعد:

العنوان الرئيسي تناسخ في العناوين الداخلية ،وقد جاء هذا العنوان مستقى من شخصية وعد وهي الشخصية الفاعلة في الرواية، هذا الوعد لم يكن أيَّ وعدٍ وإنَّما وعد اقترن بملكة الزهور لنقائها وبياضها، فزهرة **الياسمين** توحي إلى معانٍ متعدّدة منها الوفاء والتفاؤل والأمل،فخير ما يقال في الوعد هو الوفاء به وتحقيقه" كانت سيدي بوزيد مدينة صغيرة ومع ذلك بدأ كلّ شيء منها ،حادث عادي ،دارجٌ ولكنَّه كافٍ ليطلق الشرارة التي لا يمكن إخمادها"[18] ،وقد غدا هذا الوعد مرتبطا بتونس ،وهو يعطي إشارة البداية للعرب في القرن الجديد في أن يعيد تاريخًا جديدًا لأنفسهم وأجيالهم القادمة،وهذه الشرارة التي أطلقها سعيد كانت كافية لإطلاق المكنون من النفوس من القهر والغضب والأمل ورغبة دفينة في تحقيق الحلم،فإذا بإعصار الحرية يجتاح الشوارع والمدن ،حيث خرج أبو القاسم الشَّابي من دفاتر الدرس إلى الشوارع العربية.

الياسمين:

هذا العنوان جاء معرَّفا ،كما أنَّه جاء ناقصًا يحتاج إلى تتمَّة ،وقد انتقى الروائي هذا العنوان لجعل القارئ يتساءل في أيّ نوع من الياسمين يقصده الكاتب، وهل هو زهرة أمّ شيء آخر يقصده.

أمَّا في دلالته فهو رمز لتونس من خلال الإشارة إلى ثورة الياسمين والتي قام بها الشعب مطالبًا بتغيير النظام وفي ذلك إشارة إلى ثورة الياسمين ،فالفيلالي في توظيفه ليتيمة الوطن كرمز للعزَّة والإباء، حمل همومه ويعبّر عن انكساراته.

وعد الياسمين:

جاء عنوان هذا المقطع مماثلا للعنوان الرئيسي للرواية، وقد جاء فيه ما يؤكّد نظرة الروائي التفاؤلية حول مستقبل الشعوب العربية التي تقف ثائرة ضدَّ السلطة والحكم،"فقد كان الناس يمضون حياتهم في تجرّع الإهانات ، وتبرير مواقفهم والقبول بقدرهم، وكانوا يردّدون في أنفسهم أنَّ الضوء، سينبثق ذات يوم"[19].وقد عمد الروائي إلى إضافة لمسة من الرَّمز للإيحاء إلى الوطن، وذلك لما يحويه الرَّمز من دلالات ومعانٍ أقوى بكثير من الألفاظ المباشرة، وكذلك تعتبر" العناوين من أبرز مفاتيح الدلالة لأنَّ الأديب يصبُّ فيه كلّ ما في عملية الإبداع من

تيارات دلالية وطاقات إيحائيَّة، وتوحي بما يصطرع في ذهن الأديب من أفكار ،وفي وجدانه من أحاسيس ومشاعر"[20].

ونخلص في الأخير إلى أنَّ العناوين الفرعية تتجانس دلاليا مع العنوان الرئيسي ،وبناءً عليه فالعنوان الرئيسي اختزل العناوين الداخلية ،ف"**وعد الياسمين**" هو عنوان غدا مرتبطا بتونس الوطن، فهي التي أعطت إشارة البداية للعرب في القرن الجديد في أن يصنعوا تاريخًا جديدًا لأنفسهم ولأجيالهم القادمة.

4.2.**الإهداء**:

لقد شكَّل الإهداء فيه الرواية خطابًا افتتاحيًا وكان أكثر فاعليَّة ،فهو الإهداء الذي افتتحت به الرواية ،ومثَّل نصًّا مجاورًا للنصّ الروائي كاشفًا عن النصّ الأصلي مختزلاً في كلمات شكر وعرفان، لذا نجد في الإهداء مفتاحًا لمغاليق الرواية وهذا هو الإهداء الذي فتح به الروائي نصّه ،وقد وضعته وفق الجدول الآتي:

المهدي	الإهداء	المهدى إليه
الروائي رابح فيلالي	أسألكِ الغفران يا سيّدة النساء إن أسأت التعبير عن حبّي يومًا وإن قصَّرت لغتي في أن تقول لكِ كم أنت حالة حبٍّ. أسألكِ المزيد من المحبَّة فأنتِ بدؤها ومنتهاها ومتنها. كم أنتِ عظيمة الغفران ،وكم أشتهي الخطايا دومًا في حقّك وفي حقّ نفسي وفي حقّك في الحبّ. إليكِ وحدكِ يا من كنتِ دائمًا بقربي،حيث لم يعرف آخر من يكون. إليكِ وحدكِ يا أمّي هذا الوعد من عطر الياسمين. وحده الياسمين يليق بمقامكِ الرفيع يا سيّدة البهاء.[21]	**التعميم**:نساء الكون **التعيين**: الأمّ **الدلالة**: الوطن

فالإهداء نصّ مصغّر مساعد على فهم محتوى الرواية في بعض أوجهها الخاصّة ، وهو إهداء مرموز يتوسَّل الروائي به طلب الغفران من الوطن، فهو يقدّم توسّله على لفظ المنادى (**أسألك الغفران**) على (**يا سيّدة النساء**) ،والمفروض تقديم جملة النداء على الجملة الفعلية، ولكن لانَّ الروائي كان في مقام التوسّل والاستعطاف فقد فضَّل التقديم، ويكشف هذا الإهداء التعلّق الشديد بالوطن من خلال ذكر الأمّ التي تعتبر من أجمل وأسمى العلاقات الإنسانية على الإطلاق.

قد يحيل الإهداء بشكل غير مباشر إلى الوطن، وخاصة إذا ربطناه بموضوع وهو "**ثورة الياسمين**"، فتلك الخطابات الشاعرية المعبّرة في الشَّوق والتبجيل تارة وطلب الصّفح عن التقصير تارة أخرى، فهي في كلتا الحالتين تشير إلى الوطن الذي رُمِز إليه بالأمّ أو سيّدة النساء، فالوطن هو الذي راهن عليه الروائي في تحقيق الإنصات الدّقيق لنبضات النصّ والإصاخة الصادقة إلى همساته التي لا تخلو من دلالات جهيرة وتارة مكتومة.

فالكاتب يربط صورة الوطن بالمرأة تارة وهي المرأة التي يعيش معها حلاوة الحبّ ومرارة الفراق ، وبين الأمّ التي كانت سببًا في وجوده وكانت دائما معه، وهنا مفارقة ، حيث يظهر هذا الإهداء عكس ما يبطن ، وهذا من جماليات الكتابة بحيث يستعين الروائي بصورة المرأة التي تعني له الكثير ليعبّر عن حبّه للوطن الذي يوازي أو يفوق حبّه للمرأة الحبيبة أو الأمّ.

فالأمّ عند رابح فيلالي هي سيّدة جُمع الكون على حبّها ،فهي الوحيدة من كلّ النساء التي تحمل معها كلّ المعاني الصادقة فهي البدء والمنتهى ،وهي العظمة والشموخ والجلال ،والاشتهاء المزيَّن بأريج الأقحوان ،هي الصواب في زمن الخطأ ،والصدق في زمن الكذب ،والطّيبة في زمن الجفاء، فقد مزج الروائي الوطن بالأمّ ليضفي لمسة شاعريَّة ويوحي بقيمة الوطن وتعلّق الشعوب بأوطانها كما يتعلَّق الأطفال بأمّهم.

علاقة الإهداء بالنصّ الروائي:

يتقاطع الإهداء مع النصّ الروائي حين يفي سعيد بوعده لأمّه في أن يسعى لتحقيق الحريَّة للوطن، وقد مزج وعده أيضا بياسمين أبيض من خلال تضحيَّته بنفسه لأجل الأمّ والوطن. وقد ورد مقطع في الرواية ما يتناسب ويتقارب في المعنى مع نصّ الإهداء "تزيَّني بالأبيض في عرس جنازتي،أنا أمارس موتًا مختلفًا إنَّه موت القيامة يا أمّي قيامة الوطن من تحت رماده،ألا يستحقّ هذا التاريخ أن تفرحي به؟ ألم أعدك بأنَّك ستكونين غير الأمّهات إنّي أبرُّ بوعدي فافرحي وزغردي، أنا سعيد الذي أقسم أن يجلب السعادة لك وللوطن"[22] ،ولأنَّ الأمّ والوطن يستحقَّان السعادة والأمان فقد كان لهما ذلك، وهنا يحرّض الروائي على السعي في خلق ذاكرة مشتركة من خلال إضفاء عنصر الأمومة الذي يرمز إلى تونس وحضارتها وشعبها.

كما قدّم لنا نصّ الإهداء معونةً كبرى لفكّ شفرات النصّ وفهم ما غمض منه، إذ نلاحظ ارتباطه الشديد بتيمة النصّ الأساسية وهي ثورة الياسمين، وهي الثورة التي أحدثها الشعب التونسي طلبًا للتغيير والتجديد وتحقيق الحلم، وما الأمّ (المهدى له) إلاَّ رمز لهذا الوطن، وهكذا قامت هذه العتبات النصيَّة بتعيين دلالة النصّ بالاعتماد على الإيحاء والتلميح والرمز ،بعد رحلة شيّقة حقّقت لنا متعة البحث والقراءة.

3.خاتمة:

تعدّ العتبات النصية عنصرا مهمّا من عناصر الرواية ،ومفتاحا أساسيا للولوج فيها لكونها تحمل إشارات عديدة تنبئ بما يوجد في المتن الروائي، ومن خلال هذا نجد أنَّ اختيار الروائي لهذه العتبات لم يكن اعتباطا أو محض صدفة، بل جاء عن دراية تامَّة بأهمية هذه العتبات ولغايات منفعيّة وقيمة ثريَّة تُستنفد كلها لخدمة النص الروائي.

فقد حملت العديد من العلامات الدلالية الموحية التي ينبثق منها الوطن الذي يعد المحور الأساسي في الرواية.

جاء العنوان بمثابة أيقونة دالَّة،حيث لمَّح إلى الوطن دون أن يفصح، وأوجز مضمون الرواية دون أن يفصّل.

لا تقلّ عتبة الإهداء أهمّية عن غيرها من العتبات لما تتضمّنه من خطاب نصيّ مهمّ،كما أنّها تعدّ عاملا جاذبا للقارئ، فهي التي تثير فضوله و تلفت انتباهه،لذا سعى رابح فيلالي في أن يضمّن إهداءه إيحاءات دلالية ثريّة .

"وعد الياسمين" حقَّقت شعريتها من خلال الوطن بمختلف تنويعاته فقد استغلَّ الروائيّ العتبات المختلفة ليحمّلها صوره وتشكيلاته ،مستثمرًا حمولتها وقدرتها على تجسيد الأفكار عبرها.

ثمّة علاقة وطيدة بين العناوين الفرعية والمتن الروائي،فقد أتقن الروائي الربط بينهما ممَّا يؤكّد أنَّ الكاتب واعٍ تماما بما يكتب.

استنطق الروائي الوطن بشكل ملفت للانتباه يستحقّ دراسات متعدّدة فلا تفيه واحدة الغرض.

4. قائمة المصادر و المراجع:

- **المصدر:** رابح فيلالي: وعد الياسمين ، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، ط1، 2012،ص56
- **المؤلفات:**

1- الطاهر بن جلون:الشرارة (انتفاضات في البلدان العربيةويليها النّار)،تر:حسين عمر، المركز الثقافي العربي،ط1،الدر البيضاء _المغرب،2012

2-سيبويه الكتاب تح:عبد السلام هارون ،ط1،هيئة الكتاب مصر ، 1975 مج1 .

3- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة ،مغامرة سيميائية في أشهر الإرسالات البصرية في العالم،دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005.

4- محمد عيسى محمد،العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطوّر)،مكتبة الأنجلوالمصرية،ط1 ،1987

5-محمد فكري جزار،العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب،(دط)،1998.

- **المقالات:**

1- حلمي بدر، القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، مجلة فصول ،مج2،ع4.

2-جميل حمداوي،السيميوطيقا والعنونة،مجلة عالم الفكر ،ع03، يناير 1997. 14

3-جميل حمداوي،لماذا النص الموازي ؟مجلة الكرمل،مؤسسة الكرمل الثقافية فلسطين،ع88، 2006

4 -شعيب حليفي،النصّ الموازي واستيراتيجية العنوان،مجلة الكرمل،قبرص،ع46، 1992

- **حوار:** عائشة قحام،حوار مع الروائي رابح فيلالي،صوت الأحرار،عدد4442،الأربعاء 19سبتمبر2012

5. الهوامش:

---

[1]- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة ،مغامرة سيميائية في أشهر الإرسالات البصرية في العالم،دار الغرب للنشر والتوزيع،2005، ص134

[2]-محمد فكري جزار،العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب،(دط) ،1998، ص118

[3]-جميل حمداوي،لماذا النص الموازي ؟مجلة الكرمل،مؤسسة الكرمل الثقافية فلسطين،ع88، 2006،ص220

[4]-شعيب حليفي،النصّ الموازي واستيراتيجية العنوان،مجلة الكرمل،قبرص،ع46، 1992،ص23

[5]-جميل حمداوي،السيميوطيقا والعنونة،مجلة عالم الفكر ،ع03، يناير 1997،ص9

[6]-سيبويه الكتاب تح:عبد السلام هارون، ط1 ،هيئة الكتاب ،مصر ، 1975، مج1، ص21

[7]- المرجع السابق،ص22

[8]-ينظر:الطاهر بن جلون،الشرارة(انتفاضات في البلدان العربية ويلها النَّار)،تر:حسين عمر،المركز الثقافي العربي،ط1، الدار البيضاء_المغرب،2012،ص37.

[9]- رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص226

[10] -رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص48

[11]-عائشة قحام،حوار مع الروائي رابح فيلالي،صوت الأحرار،عدد4442،الأربعاء 19سبتمبر2012،ص17

[12]-رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص10

[13]-محمد عيسى محمد،العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطوّر)،مكتبة الأنجلوالمصرية،ط1 ،1987،ص27

[14]-المصدر السابق،ص31

[15]- رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص34

[16]-المصدر نفسه،ص73

[17]- المصدر السابق ،ص71

[18]-الطاهر بن جلون:الشرارة (انتفاضات في البلدان العربيةويلها النّار)،تر:حسين عمر، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء _المغرب،2012، ص45

[19]- المرجع نفسه،ص48

[20]-حلمي بدر، القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، مجلة فصول ،مج2،ع4،ص82

[21]-رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص05
[22]-رابح فيلالي،وعد الياسمين،ص200